شعر أبى العلاء

فصل فى المكرر فى معانيه

فصل فى سرقاته

فصل فى مآخذ الشعراء من شعره

فصل فى مقارنة بعض معانيه بمعانى غيره.

فصل فى المكرر فى معانيه

تكرير المعانى وقع لكثير من الشعراء، ولم نر أحدًا عليهم به، إلا إذا كان المعنى فى نفسه ساقطًا مرذولا، يؤاخذ الشاعر عليه، فتكون مؤاخذته على تكريره وترديده أولى. ومن الشعراء من يكرر الألفاظ فيعمد إلى بيت أو شطر بيت سبق له، فيعيده فى قصيدة أخرى؛ إما بتغيير قافيته، أو يجعل الصدر عجزًا، أو بالعكس. وهذا النوع يسميه أصحاب البديع بالتفصيل، فإذا كان مأخوذًا من شعر الغير سموه: إبداعًا، أو تضمينًا، على اختلاف بينهم فيه. ولم نقصد هنا التكلم عليه، بل اقتصرنا على ما كرره أبو العلاء من معانيه.

فمنها قوله فى تشبيه مسامير حلق الدروع بعيون الجراد:

سليمية من كل قتر يحوطها ... قتير نبت عنه الغوانى العوانس

تخيل أبصار الدبى فمسهد ... ومغف وشىء بين ذينك ناعس

كرره فقال:

كأن الدبى غرقى بها غير أعين ... إذا رد فيها ناظر يستبينها

وكرره فقال:

كأثواب الأراقم مزقتها ... فخاطبها بأعينها الجراد

وكرره أيضًا فقال:

بدلاص كأنها ... بعض ماء الثماد

حلة الأيم خيطت بعيون الجراد

وكرره فقال:

أتأكل درعى أن حسبت قتيرها وقد أجدبت قيس عيون جراد

* * *

وقوله فى تشبيه الدرع بالمبرد:

وما بردة فى طيها مثل مبرد بعاجزة عن ضم شخص وأوصال

كرره فقال:

مشاعة فى نشرها نهى مبرد ولكنها فى الطى تحسب مبرداً

وقوله:

ذكى القلب يخضبها نجيعًا بما جعل الحرير لها جلالا

كرره وبالغ فيه فقال:

غذاهن محمر قوارحًا كما كن يغذين الضريب مهارا

وقوله فى تشبيه فرند السيف بآثار دبيب النمل:

ودبت فوقه حمر المنايا ولكن بعد ما مسخت نمالا

كرره فقال:

كأن المنايا جيش ذر عرمرم تخذن إلى الأرواح فيه مسارا

وكرره أيضًا فقال:

ما كنت أحسب جفنًا قبل مسكنه فى الجفن يطوى على نار ولا نهر

ولا ظننت صغار النمل يمكنها مشى على اللج أو سعى على السعر[1]

وقوله فى تشبيه طحلب الماء باللثام:

وملتثم بالغفلق الجعد عرست عليه فلم تكشف خفى لثامه

وكرره فقال:

وكم أوردتها عدا قديمًا يلوح عليه من خز خمار

وقوله:

فالنفس تبغى الحياة جاهدة وفى يمين المليك مقودها

فلا اقتحام الشجاع مهلكها ولا توفى الجبان مخلدها

كرره فقال:

فكن فى كل نائبة جزيئًا تصب فى الرأى إن خطئ الهدان[2]

وسائل من تنطس فى التوقى لأية علة مات الجبان

* * *

وقوله:

تمتع أبكار الزمان بأيده وجئنا بوهن بعد ما خرف الدهر

كرر فقال:

كأنما الخير ماء كان وارده أهل العصور أبقوا سوى الفكر

وقوله:

---

(١) السعر: جمع سعير.

(٢) الهدان: الضعيف الجبان.

وكل يريد العيش والعيش حتفه ويستعذب اللذات وهى سمام

كرره فقال:

تود البقاء من خيفة الردى وطول بقاء المرء سم مجرب

وقوله:

وافقتهم فى اختلاف من زمانكم والبدر فى الوهن مثل البدر فى السمر

كرره فقال:

ومـا البـدر إلا واحـد غـيـر أنه يغـيب ويأتى بـالضـيـاء المجـدد

فـلا تحسب الأقـمار خـلقًا كـثيـرة فـجـملتـهـا مـن نيـر مـتـردد

* * *

وقوله فى رثاء أمه:

مـضت وقد اكـتهلت فـخلت أنى رضـيع مـا بلغـت مـدى الـفطام

وكرره فى رثائها فقال:

دعـا الـله أمـا ليت أنـى أمـامـهـا دعـيـت ولو أن الهـواجـر آصـال

مضت وكـأنى مرضع وقـد ارتقت بى السن حتى شكل فودى أشكال

فصل فى سرقاته

هذا باب لم أقف عليه مجموعًا، فيسهل على تناوله، واستيفاء الكلام فيه؛ وإنما أذكر منه ما اتفق لى العثور عليه فى كتب الأدب عند كتابة هذه النبذة، واستخرجه الخاطر الكليل أثناء مطالعة ديوانه. وأبدأ بمآخذه من أبى تمام والبحترى وأبى الطيب المتنبى، ثم أذكر مآخذه من غيرهم من غير ترتيب.

فمن ذلك قول أبى تمام:

والحظ يعطاه غير طالبه ... ويحرز الدر غير مجتلبه

تلك بنات المخاض راتعة ... والعود فى كوره وفى قتبه

أخذه أبو العلاء وأخرجه فى بيت واحد فقال:

هو الحظ غير الوحش يستاف أنفه ... خزامى، وأنف العود بالعود يخزم

وقال أبو تمام:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

أخذه أبو العلاء وزاد عليه، فقال:

فأضحوا حديثًا كالمنام وما انقضى ... فسيان منه يقظة ومنام

وقال أبو عبادة البحترى:

أخجلتنى بندى يديك فسودت ... ما بيننا تلك اليد البيضاء

وقطعتنى بالوصل حتى إننى ... متخوف ألا يكون لقاء

أخذهما أبو العلاء وضمن معناهما فى صدر بيته، فقال وأجاد:

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم والعذب يهجر للإفراط فى الخصر

وهذا البيت من معجزاته، إلا أنه أورده فى غزل القصيدة، وكان مديحها أولى به.

* * *

وقال البحترى:

نشوان يطرب للسؤال كأنما غناه مالك طىء أو معبد

أخذه أبو العلاء وزاد فيه زيادة لا تخفى على الأديب، فقال:

فما ناح قمرى ولا هب عاصف من الريح إلا خاله صوت سائل

والبحترى جعل ممدوحه يطرب لصوت السائل، طرب المنتشى من المغنى المجيد، وأبو العلاء جعله كلما سمع صوتًا من تطريب حمام، أو إزعاج أرواح، خاله صوت سائل، لمزيد اعتنائه بالسؤال وولعه بالنوال.

* * *

وقال أبو الطيب المتنبى فى وصف فرس:

وأصرع أى الوحش قفتيه به وأنزل عنه مثله حين أركب

أخذه أبو العلاء فقال:

أصيل الجد سابقه تراه على الأين المكرر مستريحًا

* * *

وقال أبو الطيب:

يقولون تأثير الكواكب فى الورى فما باله تأثيره فى الكواكب

أخذه أبو العلاء، فقال:

من قال إن النيران عوامل فبضد ذلك فى علاك يقول

يعملن فيما دونهن بزعمه ولهن دونك مطلع وأفول

قال شارحه أبو يعقوب النحوى: وقول أبى العلاء أرفع، لأنه جعل الممدوح فوق النجوم. انتهى.

وأقول أنا: إن أبا العلاء إنما شرح المعنى ووضحه، فبين أن علة عدم تأثير الكواكب فى ممدوحه علوه عنها، وهذا مستفاد من قول المتنبى:

فما باله تأثيره فى الكواكب

لأن المؤثر فى العادة أعلى وأقوى من المؤثر فيه، ففيه معنى بيتى المعرى وزيادة:

* * *

وقال أبو الطيب:

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه

أخذه أبو العلاء فقال:

ما رغبة الحى بأبنائه عما جنى الموت على جده

* * *

وقال أبو الطيب:

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل

أخذه أبو العلاء فقال:

وآفة العاشق فى طرفه وآفة الصارم من حده

وكلا البيتين فيه زيادة عن الآخر لا تخفى.

* * *

وقال أبو الطيب:

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

أخذه أبو العلاء، فقال:

يتهللون طلاقه وكلومهم بنهل منهن النجيع الأحمر

وبيته أبلغ فى المدح، لأن غاية المتنبى أ، وصف ممدوحه بتهلله عند هزيمة جيشه، احتقاراً للأخطار. والمعرى جعل ممدوحيه يتهللون وهم مصابون يقطر منهم الدم.

وقال أبو الطيب:

يموت راعى الضأن فى جهله ميتة جالينوس فى طبه

وربما زاد على عمره وزاد فى الأمن على سربه

أخذه أبو العلاء فقال:

رددت إلى مليك الخلق أمرى فلم أسأل متى يقع الكسوف

فكم سلم الجهول من المنايا وعوجل بالحمام الفيلسوف

وقال أبو الطيب:

في رتبة حجب الورى عن نيلها وعلا فسموه على الحاجبا

أخذه أبو العلاء فقال:

وقد سماه سيده عليا وذلك من علو القدر فال

وفي بيت المتنبي زيادة ساعد عليها لقب ممدوحه.

* * *

وقال أبو الطيب أيضًا:

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم

أخذه أبو العلاء فقال:

تمتع أبكار الزمان بأيده[1] وجئنا بوهن بعد ما خرف الدهر

* * *

وقد يتقارب الوصفان جدا وموصوفاهما متباعدان

أخذه أبو العلاء، فقال:

قد يبعد الشيء من شيء يشابهه إن السماء نظير الماء في الرزق

وقال أبو الطيب:

وإذا خفيت عن الغبي فعاذر أن لا ترانى مقلة عمياء

أخذه أبو العلاء فقال:

---

(١) الأبد: القوة

وكم عين تؤمل أن ترانى وتفقد عند رؤيتى السوادا

يريد: إذا رأتين خفيت عليها، وكأنها عميت، وفقدت سوادها وقال عمارة بن عقيل:

وما النفس إلا نطفة[1] فى قراره إذا لم تكدر كل صفواً غديرها

أخذه أبو العلاء فقال:

والخل كالماء يبدى لى ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وقال النابغة الذبيانى فى النعمان:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

أخذه أبو العلاء، فقال فى قصر نزلته عروس ممدوحة فخرج من كان فيه من حاشيته:

كان كالأفق حين همت به الشمـ ـس تنادت نجومه بالمسير

* * *

وقال عدى بن الرعلاء:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

ألم به أبو العلاء فقال:

سالم أعدائك مستسلم والعيش موت لهم مرغم

* * *

(١) النطفة - بالضم: الماء الصافى قل أو كثر.

وقالت ليلى أخت الوليد بن طريف ترثيه:

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على بن طريف

أخذه أبو العلاء وتصرف فيه فقال:

وما كنت أدرى أن مثلك يشتكى ولم يتغير للرياح نسيم

* * *

وقال عبيد بن الأبرص يصف السحاب:

كأن أقرابه لما علا شطبا[1] أقراب أبلق يبغى الخيل رماح

أخذه أبو العلاء فقال:

سرت لها ترمح أفلاءها فى الجو بلق عربيات

ذكروا أنهم يصفون السحاب بالبلق، لما فيها من لمع البروق، وهو قول حسن. والأقرب عندى أنهم يصفونها بذلك، لأن فيها ما هو رقيق، وما هو كثيف وما هو متقطع. فيخيل لناظرها أنها بلقاء.

* * *

وقال الحطيئة:

يرى البخل لا يبقى على المرء ماله ويعلم أن المرء غير مخلد

أخذه أبو العلاء فقال:

إذا أوتيت مالا فأبذلنه فما يبقيه توفير وخزن

* * *

(١) الأقراب: جمع قرب بالضم أو بضمتين، وهو: الخاصرة. وشطب جبل معروف.

وقال الأفوه الأودى:

وقدور كالربى راكدة وجفان كالجوابى مترعه

أغار عليه أبو العلاء فقال:

وقدروهم مثل الهضاب رواكدا وجفانهم كرحيبة الأفياف[1]

* * *

وقال كثير عزة:

وكنت كذات الظلع لما تحاملت على ظلعها بعد العثار استقلت

أخذه أبو العلاء فقال:

أودعكم يا أهل بغداد والحشا على زفرات مأنيين من اللذع

وداع ضن[2] لم يستقل وإنما تحامل من بعد العثار على ظلع

وقال امرؤ القيس:

وقد اغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

أخذه أبو العلاء، وغلا بأن جعله قيداً للريح، فقال:

وخيلا لو جرت والريح شأوا ظننا الريح أوثقها إسار

* * *

وقال أبو فراس الحمدانى:

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

---

(١) الأفياف، جمع فيف، وهى البرية الواسعة.

(٢) ضنى كرضى، فهو ضنى رضن: مرض.

أخذه أبو العلاء فقال:

واصبح واحد الرجلين إما مليكًا فى المعاشر أو أبيلا

* * *

وقال بديع الزمان الهمذانى:

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطق والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

أخذ أبو العلاء نصف شطر منه، وقصر أى تقصير، فقال:

إذا قيل بحر فهو ملح مكدر وأنت نمير الجود عذب الشمائل

وقال أبو حية النميرى:

ولما أبت إلا التواء بودها وتكديرها الشرب الذى كان صافيا

شربنا برنق[1] من هواها مكدر وكيف يعاف الرنق من كان صاديا

والبيتان فى غاية الحسن، إلا أن أبا العلاء ضمن معناها فى بيت فقال:

ولما أن تجهمنى مرادى جربت مع الزمان كما أرادا

* * *

وقال أبو الشيص:

أجد الملامة فى هواك لذيذة طمعًا لذكرك، فيلمنى اللوم

أخذه أبو العلاء فقال:

---

(١) الرنق والرنق: الكدر.

لم يبق غير العذل من أسبابهم فأحب من يدنو إلى عذول

وقال أبو الشمقمق فى حراقة[1] طاهر بن الحسين:

عجبت لحراقة بن الحسين كيف تعوم ولا تغرق

وبحران من تحتها واحد وآخر من فوقها مطبق

وأعجب من ذاك عيدانها وقد مسها كيف لا تورق

أخذ أبو العلاء البيت الثالث، وزاد فيه بأن بين علة إيراق العود وأحسن التعليل فقال:

من كل من لولا تسعر بأسه لا خضر فى يمنى يديه الأسمر

وقال آخر فى الحمام، وينسب للمنازى:

شجى قلب الخلى فقيل غنى وبرح بالشجى فقيل ناحا

قصر أبو العلاء فى أخذه فقال:

فقلت تغنى كيف شئت فإنما غناؤك عندى يا حمامة إعوال

* * *

وقالت ولادة بنت المستكفى:

ترقب إذا جن الظلام زيارتى فإنى رأيت الليل أكتم للسر

وبى منك لو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالنهم لم يسر

وقال أبو العلاء:

---

(١) الحراقة: سفينة فيها مرامى نيران، يرمى بها العدو.

منك الصدود ومنى بالصدود رضا من ذا على بهـذا فى هواك قـضى

بى منك مـا لو غدا بالشمس مـا طلعت من الكآبـة أو بالبـرق مـا ومـضـا

ولم أدر أيهما أخذ من الآخر، لاجتماعـهما فى عصر واحد. ولا يبعد أن يكون من التوارد، إلا أن قول ولادة أبلغ!

أما قول أبى العلاء:

منى إليك مع الرياح تحية مشفوعة ومع الوميض رسول

فلا يعد من السرقـة فى شىء، وإن سبقه غيره إليه، لأن إرسـال التحية مع التـسليم أو البرق من المعـانى الشائعـة التى تداولتهـا الشعـراء، ولم تزل تتداولهـا. وإنما يظهر التفـاضل بينهم فيهـا يحسن سبكـها وإبرازها فى اللفظ المقبول، والتلطف فى تصويرها، ولها تركت التنبـيه عما وقع فى شعره منها، كما أنـى لم أتعرض لما خفى ودق من سرقـاته، لئلا يمر ناظر عليه مـن غير تثبيت فينكره، ويمرمينى بالخطأ أو التحامل.

واعلم أن ما ذكرناه عن العرى فى هذا الباب قلما يخلو منه شاعر قديم أو حديث، ولسنا بواصلين فيه إلى حد الجزم بأنه تعمد سرقته، إذ قد يعرض المعنى للشاعر فينظمه ولا يمر بخاطره وقت نظمه أنه مسبوق به، وربما كان مما لم يقف عليه فى شعره غيره. وباب التوارد واسع - كما وقع لطرفه ابن العبد وامرئ القيس فى قوله:

وقوفًا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

فأتى به طرفـه فى معلقتـه مغيـراً لقافيـته فقط، فـقال: (وتجلد) بدل: (وتجـمل)، وثبت عند الرواة أنه لـم يطلع عليـه قـبل ذلك. وقـال على بن

منصور الحلبى المعروف بابن القارح[1]: "وكان محمد بن وكيع متأدبًا ظريفًا، ويقول الشعر، وعمل كتابًا فى سرقات المتنبى، وحاف عليه كثيراً. وسألنى يومًا أن أخرج معه، واستصحب مغنيًا وأمره ألا يغنى إلا بشعره، فغنى:

لو كان كل عليل ... يزداد مثلك حسنا

لكان كل صحيح ... يود لو كان مضنى

يا أكمل الناس حسنا ... صل أكمل الناس حزنًا

غنيت عنى ومالى ... وجه به عنك أغنى

فقلت: أتثقل عليك المؤاخذة؟ فقال: لا. فقلت: أبياتك مسروقة، الأول من قول بعضهم:

فلو كان المريض يزيد حسنًا ... كما تزداد أنت على السقام

لما عيد المريض إذًا وعدت ... شكايته من النعم الجسام

والثانى من قول رؤبة:

مسلم[2] لا أنساك ما حييت ... لو أشرب السلوان ما سليت

مالى غنى عنك ولو غنيت[3]

فقال: والله ما سمعت بهذا، فقلت: "إذا كان الأمر على هذا، فاعذر المتنبى على مثله، ولا تبادر إلى الحط عليه، ولا المؤاخذة له، والمعانى يستدعى بعضها بعضًا". انتهى.

(١) ابن القارح هذا الذى أرسل رسالته المشهورة لأبى العلاء المعرى، فأجابه عليها برسالة الغفران.

(٢) يخاطب مسلمة بن عبد الملك. مراعاة للفظ فى نظم الشعر كما جرى بذلك الشعراء.

(٣) رواية ديوان "رؤبة" (ما بى غنى عنك وإن عنيت).

ولابد لنا قبل ختم هذا الباب من ذكر نوع يعده كثيرون من السرقة وليس منها، كقول "الطغرائى":

وذى شطاط كصدر الرمح معتقل بمثله غير هياب ولا وكل

وقول الحريرى فى مقامته الرابعة والأربعين من قصيدة بائية:

وذا شطاط كصدر الرمح معتقل صادفته بمنى يشكو من الحدب

قال الصفدى: "ومثل هذا لا يعد سرقه، لأن المعنى ليس ببديع، ولا لفظه بفظيع[1]، ولا الطغرائى، عاجز عن الإتيان بمثله، بل جرى على لسانه. ونسى أن هذا لغيره، لعدم الاحتفال بأمره، إذ هو ليس بأمر كبير، وهذا -كثير الوقوع للناس، لا يكاد يسلم الفحول منه". انتهى كلامه.

وقال التنوخى فى زهر الربيع: "ومما يعد سرقة وليس بها، اشتراك اللفظ المتعارف كقول عنترة":

وخيل قد دلقت لها بخيل عليها الأسد تهتصر اهتصاراً

وقالت الخنساء:

وخيل قد دلقت لها بخيل فدارت بين كبشيها رحاها

انتهى

قلت: وتحقيق المقام أن الكلام المأخوذ يشترط فيه أن لا يكون ذا معنى كبير أو لفظ بالغ حدا ما من الرشاقة، فإذا أدمجه الشاعر فى بيته جاء به غير مقصود لذاته، بل يجعله كالتوطئة لمعنى آخر مقصود له، بينى البيت عليه. ويظهر ذلك فيما - استشهد به الصفدى والتنوخى، وهو كثير فى شعر العرب

(١) أى. عظم.

والمحدثين، وقد وقفت منه على جملة صالحة، لو جمعت لجاءت رسالة لطيفة، كقول الراعى النميرى:

فتى يشترى حسن الثناء بماله إذا ما اشترى المخزاة بالمجد بيهس

وهو مثل قول الأبيرد:

فتى يشترى حسن الثناء بماله إذا السنة الشهباء[1] أعوزها القطن

وتبعهما "أبو نواس" فقال:

فتى يشترى حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور

وقول "دريد بن الصمة":

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

وهو مثل قول "المتلمس":

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى ولا أمر للمعصى إلا مضيع

وفى هذا القدر كفاية. والكلام فى السرقات الشعرية وأنواعها واستيعاب ما قيل فيها، لا يتسع له مثل هذا المختصر..، فإذا من الله بتوفيقه، وكان فى العمر مهلة، وضعنا فيها رسالة تستقل بجمع شتاتها، وتفصيل ما أجمل منها.

ومن غريب ما وقفت عليه من ملاحظاتهم، ما رواه على بن العباس النوبختى" قال: قال لى "البحترى": أتدرى من أين أخذ "الحسن"[2] قوله:

---

(١) السنة الشهباء: الكثيرة الثلج الجدية، والشهباء أمثل ن البيضاء. والحمراء أشد من البيضاء. وسنة غبراء: لا مطر فيها.

(٢) الحسن هو: "أبو نواس".

ولم أدر من هم غير ما شهدت به يشرقى ساباط الديار البسابس

فقلت: لا، فقال: من قول "أبى خراش":

ولم أدر من ألقى عليه رداءه ولكنه قد سل عن ماجد محض

فقلت: المعنى يختلف، فقال: إنا نرى حذو الكلام واحداً، وإن اختلف المعنى. انتهى.

قلت: إذا كان مراد البحترى مجرد البيان، فقد لاحظ ملاحظة دقيقة، وإذا كان قصده الحط من "أبى نواس"، والنعى عليه، فقد - لعمرى - ركب متن عشواء، وتخبط فى ظلماء، فإن احتذاء كلام العرب مطلوب فى البلاغة، وما حث العلماء على إكثار النظر فى أشعارها واستظهارها إلا توصلا إلى ذلك . . ولولا محاولته ما صبرنا على الغدائر المستشزرات والقنو المتعثكل، بل لو لم يصقل البحترى شعره بتلك المسحة العربية، ما كانت له الديباجة الغريبة التى انفرد بها بين معاصريه، وبز بها أهل طبقته. والله أعلم.

* * *

فصل فى مآخذ الشعراء من شعره

القول فى هذا الباب كالقول فى سابقه، فلهذا نقتصر على ذكر ما حضر منه، دون استيعاب سائره. فمنه قول أبى العلاء:

لا تطلبن بآلة لك رفعة ... قلم البليغ بغير حظ مغزل

سكن السما كان السماء كلاهما ... هذا له رمح وهذا أعزل

أخذه أبو إسحق الغزى، فقال:

والحسن والقبح قد تحويهما صفة ... شان البياض وزان الشيب والشنبا

ظبا المخارف[1] أقلام مكسرة ... رؤوسهن، وأقلام السعيد ظبا

* * *

وقال أبو العلاء يصف خيلا:

ولما لم يسابقهن شىء ... من الحيوان سابقن الظلالا

أخذه ابن أحمد يس فقال وأجاد:

ويكاد يخرج سرعة من ظله ... لو كان يرغب فى فراق رفيق

* * *

وقال أبو العلاء

إذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت ... عن الماء فاشتاقت إليها المناهل

---

(١) يقال: رجل مخارف بالمعجمة ومحارف بالمهملة الراء فيهما أى محدود ممنوع.

أخذه الطغرائى فقال:

ونفس بأعقاب الأمور بصيرة لها من طلاع الغيب حاد وقائد

وتأنف أن يشفى الزلال غليلها إذا هى لم تشتق إليها الموارد

* * *

وقال أبو العلاء:

وما ازدهيت وأثواب جدد فكيف أزهى بثوب من صبا خلق

أخه الطفرائى أيضًا فقال:

لم أرتض العيش والأيام مقبلة فكيف أرضى وقد تولت على عجل

* * *

وقال أبو العلاء:

وافقتهم فى اختلاف من زمانكم والبدر فى الوهن مثل البدر فى السحر

أخذه الطفرائى فقال:

مجدى أخيراً ومجدى أولا شرع والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفل

قال الصفدى: ولكن قول المعرى ألطف عبارة، وأحسن شارة وإشارة، لأن الطغرائى أغرب لفظى رأد والطفل، وعذوبه الألفاظ أمر مهم فى البلاغة. انتهى. وقد ناقشه بدر الدين الدمامينى - فى نزول الغيث" بما لا يخلو إيراده من فائدة، ونص عبارته: أقول الإغراب فى اللفظ هو الإتيان به غريبًا، وقد نص بعض الأئمة على أن الغرابة كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى، ولا مأنوسة الاستعمال، فمنه ما يحتاج فى معرفته إلى أن ينقر

ويبحث عنه فى كتب اللغة المبسوطة، ثم الغريب منه حسن، وهو الذى لا يعاب استعماله عند العرب؛ لأنه لم يكن وحشيا عندهم، مثل: اشمخر واقمطر، ومنه قبيح يعب استماله مطلقًا، ويسمى الوحشى الغليظ، وهو أن يكون مع كونه غريب الاستعمال، ثقيلا على السمع، كريهًا فى الذوق، ويسمى المتوعر - أيضًا مثل: اطلخم الأمر. وعلى كل تقدير فلا نسلم أن رأد والطفل من الغرابة فى شىء، كما ادعاه الصفدى. وفى قوله: وعذوبة الألفاظ أمر مهم فى البلاغة، قرينة دالة على أنه أراد أن الرأد والطفل من الغريب المستكره فى الذوق، المسمى بالمتوعر، وظاهر أن ذلك خطأ نشأ من سوء الذوق، وعدم المعرفة - بكلام القوم والإعراض عن التدبر لاصطلاحهم" انتهى كلامه.

وقال أبو العلاء:

وأغدو ولو أن الصباح صوارم وأسرى ولو أن الظلام جحافل

أخذه عفيف الدين التلمسانى فقال:

أسير ولو أن الصباح مواكب وأسرى ولو أن الظلام قتام

وقال أبو العلاء فى: "سيف":

ودبت فوقه حمر المنايا ولكن بعد ما مسخت نمالا

أخذه الوزير أبو محمد عبد الغفور فقال:

تريه المنايا الحمر فيه وجوهنا مماثلة الأرواح فى خلقة الذر

***

وقال أبو العلاء:

والمجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

أخذه التهامى فقال:

لم أخف إلا للعلو وإنما تخطى السها لعلوه الأبصار

وقال أبو العلاء:

وفضل الشمس فى الأيام باق وإن مدت من الكبر اللعابا

أخذه ابن سناء الملك، فقال من قصيدة يهجو بها الشمس:

أنت عجوز لم تبرجت لى وقد بدا منك لعاب يسيل

وقال أبو العلاء:

خفف الوطء ما أظن أديم الأ رض إلا من هذه الأجساد

أخذ مهيار الديلمى فقال:

رويداً بأخفاف المطى فإنما تداس جباه فى الورى وخدود

* * *

وقال أبو العلاء فأجاد:

الموقدون بنجد نار بادية لا يحضرون وفقد العز فى الحضر

إذا همى القطر شبتها عبيدهم تحت الغمائم للسارين بالقطر

أى: إذا أطفأ المطر نارهم شبتها عبيدهم بالقطر، وهو العود ليهتدى السارى برائحته. قال الصفدى: وعليه اعتمد ابن عباد فى قوله، على أنه ما فارق المغنى، ولا خالف المعنى، وهو:

المكثرين من الكباء[1] بنارهم لا يوقدون بغيره للمارى

* * *

وقال أبو العلاء:

سألن فقلت مقصدنا سعيد فكان اسم الأمير لهن فالا

أخذه عصرينا "سليم رحمى بك" رحمه الله - فقال فى: محمد شريف باشا وزير مصر:

يقول القوم مطلبكم عزيز فقلت نعم ومقصدنا شريف

* * *

وقال أبو العلاء:

تحية كسرى فى السناء وتبع لربعك لا أرضى تحية أربع

أخذه أحمد شوقى بك فقال فى مدح السلطان عبد الحميد:

سلام الله لا أرضى سلامى فكل تحية دون المقام

* * *

(١) الكباء - ككساء: عود البخور، أو ضرب منه.

فصل فى مقارنة بعض معانيه بمعانى غيره

قال أبو العلاء:

جـــهل بمثلك أن يزور بلادنا ... يختال بين أساور وخلاخل

أو ما رأيت الليل يلقى شبهه ... حتى يجاوزها بحلة عاطل

وقال الوزير ابن زبدون:

قعيدك أنى زرت نورك واضح ... وعطرك نمام وحليك مرجف

هبيك اعتررت[1] الحى واشيك هاجع ... وفرعك غربيب وليلك أغضف[2]

فكيف اعتسفت الهول وخطوك مدمج ... وردفك رجراج وخصرك مخطف[3]

أقول: مدار المعنى فى الشعرين على التعجب من مخاطرة هذه المعشوقة فى زيارة صاحبها، فتناوله كلا الشاعرين، وتلاعب به، فأبرزه فى الصورة التى شاء له اقتداره إبرازه فيها؛ وقد أجاد كل منهما فيما حاوله، وتساويا فى الإحسان، فلا ارى للترجيح مدخلا بينهما. ويلوح لى أن كليهما اعتمد فى توليد معناه على قول ابى الطيب:

قلق المليحة وهى مسك هتكها ... ومسيرها بالليل وهى ذكاء

ولا يظهر ما قلته إلا بزيادة التدقيق، وإطالة التأمل.

* * *

(١) المعتر: الزائر - اعتررت زرت.

(٢) الأغضف: المظلم.

(٣) المخطف: المنطوى.

وقال أبو العلاء:

آألى أميرك لا يسرى الخيال لنا وكم تمنت رجال فيك مغضبة

إذا هجعنا فقد أسرى وما علما أن يبصروه فلم يظهر لهم سقمًا

وقال مانى الموسوس، وقد سأله محمد بن طاهر إجازة قول الشاعر:

حجبوها عن الرياح لأنى قلت يا ريح بلغيها السلاما

لو رضوا بالحجاب كان ولكن منعوها يوم الرياح الكلاما

فقال:

فتنفست ثم قلت لطيفى ويك لو زرت طيفها إلماما

حيها بالسلام سرا وإلا منعوها لشقوتى أن تناما

أقول: خلاصة المعنى المبالغة فى الحجر عليها. فادعى أبو العلاء - أن ولى أمرها بالغ فى حجبها، حتى حلف خيالها ألا يزور حبيبها، ولكن الخيال غافله وزاره، ولضناه فى حبه نحل، فخفى على من يترصد رؤيته. وقصر مانى فلم تصل يده إلى الخيال. وبيتاه على ما فيهما من حسن التخيل وعذوبة الألفاظ ينحطان عن بيتى أبى العلاء.

* * *

وقال أبو العلاء:

ذكرت بها قطعًا من الليل وافيا مضى كمضى السهم أقصر من قطع

وقال آخر:

ظللنا عند دار أبى نعيم بيوم مثل سالفه الذباب

وقال آخر:

ويوم كإبهام القطاة مزين إلى صباه غالب لى باطله

فأبو العلاء شبه الليل فى قصره بالقطع، وهو النصل الصغير، والثانى شبه يومه فى قصره بعنق الذباب، والثالث شبهه بإبهام القطاة.

قال أبو يعقوب النحوى: وهذا أشد مبالغة من قول أبى العلاء، إلا أنه أغرب فى الصنعة، من حيث إنه ذكر قطع الليل وقطع السهم، جاعلا مضى الليل كمضى السهم. اهـ.

* * *